الخرتيت

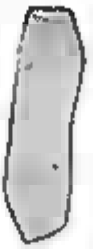

بقلم : حسين القباني

في بلدة ما من بلدان الجمهورية العربية المتحدة ..

قد تكون هذه البلدة في اقصى الشمال ، او في ادنى الجنوب .. فليس لهذا اهميته الكبيرة في هذه القصة .

وفي مصنع ما يشارف هذه البلدة ..

قد يكون هذا المصنع للنسيج او للغزل او للحديد او لاى شيء من هذه الصناعات التي راحت تنمو في اقليمنا سواركا بيمونا . فليس لهذا اهميته الكبيرة في القصة .

وفي قسم من اقسام التشغيل في هذا المصنع ..

قد يكون قسم المولدات الكهربائية او قسم الماكينات ، او قسم التجميع ، او قسم التعليب .. فليس لهذا اهميته الكبيرة في هذه القصة .

اذن ما الذي له اهميته الكبيرة في هذه القصة ..

انه الخرتيت .. انه الاسطى هلال رئيس عمال هذا القسم ، ولا احد يعرف متى اطلق عليه هذا الاسم ، او من اطلقه عليه ، الا اذا عرفنا من اطلق اسم « ابو اصبع » على هذا التمثال الذي كان تمثالا بوسا ما في ميدان الاوبرا ، ومتى اطلق هذا الاسم !

اما لماذا سمي بالخرتيت ؟ لانه لو لم يكن آدميا لكان خرتيتا !!

ان الريس هلال كتلة من اللحم المكسو بالشعر .. طويل ، ضخم ، قصير العنق ، كبير الراس يرتفع من بين كتفيه ما يشبه السنام على ظهره ، ويبرز من وسط جبينه شيء كالكيس الدهني كأنه قرن وحيد ، ولعل هذا الشيء هو الذي اوحى الى بعضهم باطلاق اسم الخرتيت ، اى « وحيد القرن » عليه

وهو في مسيره ينحني بجذعه الاعلى الى الامام فيبدو كأنه ثور يتحفز للهجوم . واذا غضب — وكثيرا ما يغضب — تراه يضرب الارض بقدميه

تماما كما يعمل نور المصارعة مع ميلم كوفاديس .. وسرعان — عند المغرب أيضا — ما تحمر عيناه الصغيرتان المستديرتان ، ويمتلىء الفتوة المارد من جبينه بالدم فيتصلب ويزداد بروزا ، وتتقلص طيات الدهن على وجهه المتعاسة الطافر مع لحظة الاحتضار ، ويرتعش السيجار الضخم الطويل الذى لا يفارق شفتيه لحظة واحدة طيلة ساعات العمل .

وكما ان احدا لا يعرف متى وكيف اطلق عليه اسم الخرتيت ، فان احدا ايضا لا يعرف كيف استطاع هذا الرجل — وهو مجرد رئيس قسم من اقسام المصنع الكبير ، ان يفرض سلطته على جميع العاملين فى المصنع ، ابتداء من عمال النظافة الى طاقم الرؤساء واعضاء مجلس الادارة .

وكان طبيعيا ان تتطاير الشائعات التى تحاول ان تبرر قدرته على فرض سلطانه على الرؤساء اما بالنسبة للمرءوسين والزملاء ، فكانت صحة جسمه ، وعنف مزاجه ، وقوته الهرقلية كلها كافية لاشاعة الرعب منه فى صفوفهم جميعا .

فاذا اضفنا الى هذا افتراسه لهم المال بالربا الفاحش ، امكننا ان نعرف بسهولة سر سيطرته على المرءوسين والنظراء فى المصنع ..

ولكن ، كيف استطاع ان يمد هذه السلطة على الرؤساء ؟

تقول الشائعات ان ام الرئيس هلال كانت يهودية ثم اسلمت بعد زواجها من ابيه ، وان الدماء الصهيونية تجرى فى عروقه ، ولعل السيدة والدته علمته منذ الصغر ان لكل انسان فى الدنيا جانبا ضعيفا فى شخصيته يستطيع الرجل الذكى ان يتعقد منه ويسيطر به عليه .

ويبدو ان الرئيس هلال ، كما تقول الشائعات — قد شب وهو يحرص على تطبيق هذا المبدأ من جميع المتصلين به . فهو مع المرءوسين والنظراء يستغل ضعفهم البدنى بالنسبة اليه ، وحاجتهم الملحة الى المال فى بعض الازمات ليفرض سلطانه عليهم — وهو مع الرؤساء يلجأ — اذا لم يجد الارهاب بالقوة البدنية — الى تقديم العاهرات المأجورات لمن يعرف انه « خلوص » — هكذا تؤكد الشائعات ، والى تقديم الديكة الرومية وصفائح السمن البلدى واقفاص الفاكهة الى من يعرف انه « دياع » — ، والى خلق المشاكل المتوالية امام الرئيس المطيح حتى يجعل بقاءه فى المصنع مستحيلا .

هكذا تقول الشائعات — التى قد تكون كلها صادقة ، او بعضها على الاقل ، فى تبرير سلطة الخرتيت التى استطاع ان يفرضها على المصنع الكبير بكل من فيه وما فيه .

ولكن العمال جميعا ، على وجه التقريب ، كانوا يحبون ويشفقون فى الوقت نفسه — من اعماق الخرتيت فى قسوته على العامل الغنى بيد ، او « ابو عرب » — كما يحلو لزملائه ان ينادوه ..

كان ينتهز كل فرصة ، بل ويصيد المناسبات لكى يوجه الاهانات المقذعة الى « ابو عرب » ثم يكثر من تيلمه العراء فى ابتسامة تحمل معنى التحدى ، وكان « ابو عرب » يحتمل

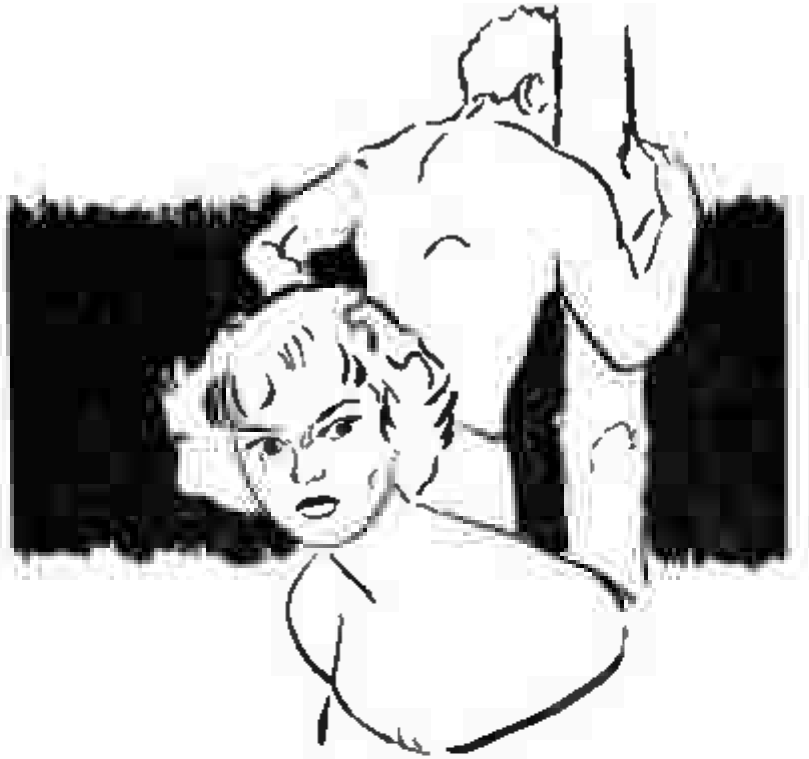

هذه الاهانات في عصر عجيب طالما اثار اعجاب بعض الرملاء ودهشة بعضهم الآخر - وسخرية القليل منهم الذين اطلقوا عليه اسم « المجرد »

وتفاخرت الشائعات ـ كالمعتاد ـ بان الخرتيت يعار من « ابو عرب » لانه اول عامل يتخرج في معهد صناعي بني ، وانه يرمز للجيل الجديد من العمال المثقفين الذين يجمعون بين الثقافة والبراعة الفنية والشعور الكامل بالمسئولية .

ولكن شائعة اخرى ـ اقوى ـ تقول ان الخرتيت يقلوى بجسمه الضخم غراما وهيلما سماء ، الموظفة الحسناء بادارة المستخدمين بالمصنع ، والواقع ان سماء كانت من هذا النوع من النساء المشحون مكنة ضخمة من الجاذبية التي تفرض سلطانها على قلب اي شاب ..

ومرست جاذبية سماء سلطانها على الخرتيت .. انه ـ على كل حال ـ بشر من حقه ان يستجيب للجاذبية الانثوية ، وان يحب .. ولكن ليس من حقه طبعا ان يفرض هذا الحب على سماء او غير سماء لان الحب هو الشيء الوحيد الذي لا يستطيع ان يمرسه ـ ولو كان خرتيتا ـ على احد ، او ان يشتريه احد ـ ولو كانت له اموال قارون ـ من احد !

ولم يستطع ان يعريها بجسمه الضخم او بقوته المرتلية التي كان يظن انها دليل محولة عاطفية ، ولم يستطع ايضا ان يغريها بالهدايا التي قبلت بعضها في اول الامر ـ مجاملة ـ

ثم رمقتها بعد ذلك في اصرار عجيب ..

وأبى الحرنبت أن يقبل بجود التفكير في أن سناء ترفض حبه ، ليعقل هذا ؟ أيمكن أن ترفض حبه سناء — أية فتاة — في المصنع ، حتى لو كانت سناء الجدابة ، وهو الحاكم بأمره فيه !

اذن لابد أن يكون هناك سبب لهذا التمنع والدلال .. ولن يكون حرنبتا اذا لم يعرف هذا السبب ..

ولم تمض غير أيام معدودة حتى عرف الحقيقة الرهيبة التي جعلت العرق يتصبب على جبينه وقفاه .. عرف أن سناء تغازل « أبو عرب » الحدد وقد تواعدا على الزواج في أول فرصة سانحة ..

وراح الحرنبت يضرب كفا بكف في دهشة واستنكار لتصرفات بنات اليوم اللاتي يفضلن « جردا » مثل سعيد على أسد مثله .

ولكن .. هل يليق بالأسد ، أعني الحرنبت أن يهزم أمام جرد مثل سعيد !

اذن يجب على الحرنبت أن « يفور » بسرعة صاروخية ، والا فسوف يجعل منه أضحوكة المصنع .. وأبى « أبو عرب » أن « يفور » بسرعة أو ببطء .. ولكن نظراته النارية الى الحرنبت كانت تحمل في طياتها معاني جديدة أبعد ماتكون عن الرضوخ والاستسلام ..

كان يصر على أسنانه ، ويرمم شفتيه كأنما يخشى أن تفلت منه عبارة تكشف عما يريده في نفسه للحرنبت .. وفي أحيان أخرى كانت ترتسم على شفتيه ابتسامة خفيفة .. ابتسامة الرجل الذي يؤمن بالمثل القائل « الشاطر يضحك في الآخر »

وسرى في جو المصنع شعور خفي بالترقب والتوتر . كان الجميع يدركون أن الموقف بين « أبو عرب » الجرذ — وبين الرئيس هلال — الحرنبت لن يستمر هكذا بلا نهاية ..

ولكن هذا الشعور لم يلبث أن تلاشى أو على الأصح ، أن انزوى أمام الفرحة العامرة التي ملأت نفوس العمال جميعا عند اذاعة القوانين الاشتراكية الجديدة التي صدرت في عيد الثورة المباركة التاسع ..

لقد وجد العمال أنفسهم ، في يوم وليلة ، شركاء في المصنع ، شركاء في الانتاج ، وفي الادارة وفي الارباح — أي أن المصنع لم يعد ملكا لفرد واحد ، وانما ملك لهم وللشعب بأسره ..

وسرت في نفوسهم فرحة العمر .. فرحة الذي تحققت آماله مجاة بعد أن طال الانتظار . وبطبيعة الحال لم يكن لهم حديث في الصباح التالي لاعلان هذه القوانين الثورية الاشتراكية الا عن هذا العهد الجديد السعيد الذي فتح لهم أبواب الرخاء والتقدم بالاستقرار والتطلع الى المستقبل في ثقة وأمان .

ودخل « الحرنبت » بجسمه الضخم وسحاره الممتد من شعره كالمدخنة الأنفية — أو كما سماها بعض العمال « الشكمان » وبلغت حوله حيث وقف بعض العمال العاملين عنه يستطردون في الحديث عن هذه القوانين ، ومجاة سلقت عيناه ، وتصلب ترنه الوحيد ،

وتقدم قائلا بصوته الذي كان اقرب الى صراخه الى نباح كلب عقور ..

ـ والله عال .. ما نقلبها قهوة احسن !

وتعرق العمال مسرعين الى آلاتهم ولكن العلل ابراهيم تلكأ قليلا وسار متمهلا كأنما الأمر لايعنيه في شيء ، وضرب الخرتيت أرضه العسر بقدمه شاما كما يفعل ثور مثلم كوفاديس ، وتقدم متحمرا نحو ابراهيم ثم اطبق يده الضخمة على قفاه قائلا :

ـ انت يا واد مش عاجبك كلامي !

وترك العمال آلاتهم ووقفوا يترقبون .. ولم تكن تلك أول مرة يشتبك فيها « الخرتيت » بأحد العمال ويرغمه على الرضوخ لاوامره. ولكن العمال ـ لامر ما ـ كانوا يتوقعون بدافع احساس خفي أن زميلهم ابراهيم لن يرضخ لجبروت «الخرتيت»

وصدق احساسهم فقد ابى ابراهيم ان يستسلم ، رغم كل محاولات « الخرتيت » معه . بل لقد تمادى وقال وهو يكتم آلام عنقه في جهد .

ـ انا من النهارده راجل ، وحاقصف راجل على طول .

وسقط على الارض من شدة اعياء وحاول بعض العمال أن يهرعوا الى اسعاف زميلهم .ولكن الخرتيت استدار نحوهم ، وعاد « يرقص » الارصفة بقدميه كثور مثلم كوفاديس ، ثم يدير نظراته فيهم قائلا :

ـ اللي عاوز يحصله يتفضل يورني شطارته ..

ولم يستطع احدهم ان يغامر ويضع عنقه في قبضة هذا الوحش الآدمي .. ولعلهم جميعا تذكروا عندئذ الحلقة الرياضية التي اقامها المصنع في العام السابق بمناسبة الاحتفال بعيد الثورة الثامن .. لقد وقف « الخرتيت » ومن ثم مشدم ـ وكان يضرب على صدره ـ تماما كطرزان ـ يعرب عن استعداده لمصارعة اثنين في وقت واحد .. ولما كانت الحلقة تحت اشراف مدير المصنع واعضاء مجلس ادارته ، فقد هز علي الريس ابو العلا ان يحتى العمال ، كل العمال، رءوسهم في ذلة واستخذاء أمام « الخرتيت » ومن ثم تقدم ـ وكان يمتاز ايضا بضخامة الجسم ـ الى الحلبة بين هتاف العمال وتصفيقهم الحنوني .

ولكن الريس ابو العلا لم يلبث بعد لحظات ان حمل الى المستشفى حيث ظل يعالج من كسور بمطلبه ستة اشهر وتسعة ايام ..

ولعل العمال كانوا يذكرون انفسهم في تلك اللحظة بذلك الحادث ، ولعله هو ايضا قد ادرك ما يدور بخواطرهم، فارسل ضحكته الطويلة وقال .

ـ ها .. ها .. ناكرين انكم حاتقولوا اصحاب المصنع مصيبة .

ثم ضرب على صدره واردف قائلا :

ـ طول ما انا هنا مش حايكون المصنع صاحب غيري ، ماهمين !

وصدر العسر بعد أن امر كلا منهم بالعودة الى آلته

ولكن العمال احتموا حول زميلهم

ابراهيم الذى نهمس بربع وهو يتحسس قفاه . وقال العامل مرسى بصوت هامس :

ـ بش كلام دا يا حدعان .. احنا لازم نشوف لنا طريقة مع الكلبه دا !

وقال العامل عبد المنعم :

ـ على كل حال المسألة هانت .. بكره حانبلغ لنا ممثلين فى مجلس الادارة وبكره نتخلص منه ..

وهنا تقدم العامل العتى سيد وقال : نفتكروا ان المصنع يمكن يستغنى عنه ؟

ـ ليه لأ ، هو اللى خلقه ما خلقش غيره ..

ـ مفيش غيره يعرف اصغر واكبر حتة فى كل آلة وفى كل مكنة وفى كمان موتور بالمصنع ..

وكان سيد « ابو عرب » غير مقتنع فى حديثه هذا عن « الخرتيت » الذى هاجر المصنع بعد نشأته واستطاع ان يجمع بين يديه كل أسرار تشغيله . وقد حاول احد المديرين ان يفصله ، فتوقفت الآلات فى تسع الموانات الكهربائية ، وهنا حاول المهندسون اصلاحها . ولما اعيد « الخرتيت » الى عمله ، تحركت الآلات وارداد سلطانه قوة ..

وقيل يومذاك ان لديه اوامرا ماجورين كل مهمتهم ان يعطلوا الآلات اذا تجرأ احد الرؤساء على فصله .

ولكن .. اين الدليل ؟

وقال العامل مرسى :

ـ يعنى عشان كدا لازم نعيش تحت رحمة الكلبة ..

فقال سيد « ابو عرب » :

ـ اعتقد ان فيه حل يكسر شوكته وفى الوقت نفسه يخلى المصنع ما يتدمرش من خسرته .

ـ وايه الحل ؟

وصمت سيد برهة قبل ان يقول :

ـ واحد منا يهرمه فى المسابقة الحرة يوم الحفلة الرياضية فى الحمة الجبلية ..

وسمى العمال انفسهم واصبحوا ضاحكين ساخرين .

واسرع رجل لهم كان يرهف السمع عند مدخل المصنع قائلا :

ـ الخرتيت جاى ..

وتفرق العمال مذعورين الى آلاتهم ..

وفى يوم الحفلة الرياضية ، وقف الخرتيت فى حلبة المصارعة بجسمه الهائل العارى الا من لباس المصارعة ، يضرب على صدره المكسو بالشعر الاسود الغزير ، ويرسل صيحته المجلجل قائلا وهو يختلس النظرات الى الجانب الذى جلس فيه العاملات والموظفات وغيرهن من المدعوات .. وكانت سماء بطيئة الحال جالسة فى مكان بارز بينهن .

ـ خلاص .. مفاش فيه رجالة فى البلد !

ولو نظر احد المتفرجين الى وجه مدير المصنع فى تلك اللحظة ، لرآه يعض على شواربه من فرط الغيظ ولكن

المتفرجين جميعا ، وكانوا يسمعه الاف من العمال وسكان البلدة ، توجهوا برؤية سيد « أبو عرب » — الحرز — يتقدم الى الحلبة في لباس المصارعة وقد رسم شعثيه ، وتألقت عيناه بنظرات عربية كأنها — في وميضها — الشرر

وسرت بين الالاف همهمة دهشة وحوف واشفاق . وصاح احد الجالسين بجانب المدير قائلا :

— ارجع يا سيد .. انت مجنون

وقال احد المتفرجين :

— دا يظهر عليه عايز ينتحر

ولكن سيد كان قد صعد الى الحلبة وقد بدا جسمه الاسمر البرونزي طويلا متناسق الاجزاء بفتول العضلات ولكنه ، رغم هذا ، بدا كالحزء امام الملاك الرياضي هلال .

وارسل « الحرتيت » ضحكة ساخرة بحلجلة وتقدم في استهتار ليحص سيد بيد واحدة ويلقي به خارج الحلبة وهو يقول :

— يا أخا بقينا في زمن العجايب يا باشا كمان الا الصراصير تقف تسدام السبعه .. يا ابني روح

وانقطع الحديث على شعثيه حين وجد نفسه يرتفع في الهواء بسبعة اقدام ثم يسقط كالجلمود على ارضية الحلبة ..

وظل راقدا برهة كأنما لا يصدق ما حدث ، وحيم الصمت الفاجع من الدهشة المحيرة على الجميع وفجأة ارتفعت الصيحات وتعالى الهتاف بدوي التصفيق ، وصاح أحدهم وهو يقف على مقعده راقصا :

— ايوه كدا يابو عرب .. يعيش دبيك ..

ووثب « الحرتيت » كالكرة واقفا ، وهجم على سيد في عنف يحاول الايقاع به بين يديه وكان في الواقع يعلم — والجميع يعلمون — انه لو امسك سيد بين يديه في تلك اللحظة لازهق روحه . ولكن سيد كان محتفظا بهدوئه مدركا تماما ماذا ينبغي أن يفعل ، متوقعا كل حركة يقوم بها غريمه

وفي لحظات انتصر الفن على القوة العاتية وهكذا استطاع سيد أن يجعل ثمرة تدريبه سرا — لمدة عام كامل — على المصارعة اليابانية ، فاذا هو يهزم « الحرتيت » في اقل من عشر دقائق . واذاهو يثير فرصة سقوط «الحرتيت» على وجهه ، فيقفز عليه من الخلف ، ويضع كل قوته في يديه وهو « يسعه التراب » — كما قال العمال

وانحنى « الحرتيت » في الم شديد بلكما ..

ولم يعد العمال يسمونه «الحرتيت» منذ ذلك الحين .. وانما اختاروا له اسما آخر أطلقه « عيشة » ..